بين المحكم والمتشابه

شرح فضيلة الشيخ

أيمن إسماعيل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة:

إنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا } رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (النساء:١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} (الأحزاب:٧٠-٧١)

إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تعالى ،وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وَكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وَكُلُّ ضلالةٍ فِي النَّارِ. ..

أما بعد

فغاية هذا البحث إنما هو الوقوف مع قوله تعالى (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) **(آل عمران:٧)**

وهذه الوقفة مع هذه الآية الكريمة غرضها بيان جملة من المسائل المهمة التي تتعلَّق بما بها من أحكام ، وعلى رأسها ما يتعلَّق ببيان الفَرْقِ بين المُحْكَم والمتشابه ، وأهم ما ورَد من كلام أهل العلم في هذا الباب.

فاللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .[1]

اللهم ربنا : اهدنا إلى خير الأقوال والأخلاق، والأفعال والأرزاق ، لا يَهدي لخيرها إلا أنت ، واصرف عنَّا سيئها ، لا يصرف عنَّا سيئها إلا أنت .

وصلى الله على النبي.

---

[1] قد أخرج مسلم (٧٧٠) عن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- أنها سئلت بما كان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يفتتح صلاته إذا قام من الليل ، فذكرتْ هذا الدعاء .

وقفات مع قول الله تعالى (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) (آل عمران:٧)

أولًا: قوله تعالى (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ..)

"الـ" في قوله تعالى"الكتاب" ،هل هي الـ العهدية، أم الاستغراقية ؟

الـ العهدية: هي التي تفيد شيئًا معهودًا في الذهن ، لا يحتمل الكلام غيره،

أمَّا "الـ" الاستغراقية : فهي التي تفيد العموم ، بحيث أنَّه إذا حُذِفتْ " الـ " ووضِع مكانها " كلُّ" لاستقام المعنى ، وهذه من العلامات الفارقة بين : " الـ " العهدية، و" الـ " الاستغراقية.

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى (مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ)(المائدة:٩٩)، وقوله تعالى(فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ)(المزمل:١٦)، وقوله تعالى(رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ)(آل عمران:٥٣)، وقال تعالى(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ)(المجادلة:١٢)

فالمتأمِّل لكلمة الرسول في الآية الأولى يعلم أنَّ " الـ " فيها استغراقية مفيدة للعموم ، وأمَّا " الـ " : في الآيات الثلاثة التي بعدها فهي العهدية ، فالمراد بالرسول في الآية الثانية هو موسى عليه السلام ، والمراد بالرسول في الآية الثالثة هو عيسى عليه السلام ، وأمَّا المراد بالرسول في الآية الرابعة فهو محمد ﷺ.

نعود إلى السؤال: قوله تعالى (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ..)

"الـ" في قوله تعالى"الكتاب" ،هل هي الـ العهدية، أم الاستغراقية ؟

والجواب:

بناءً على ما سبق ذكره: فإنَّ المراد بـ " الـ " إذا ما وردت مع لفظة الكتاب فقد تكون استغراقية ، كما قال تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٧٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ(١٧٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدِۭ (١٧٦))(البقرة١٧٤-١٧٥-١٦٧) فلفظ الكتاب المذكور في هذه الموضعين المراد به العموم ، لذا فإنَّ الـ هنا للاستغراق ، وليست عهدية.

أما في هذه الآية (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ..) فهي الـ العهدية ، والتي تفيد في الذهن شيئًا واحدًا ؛ ذلك أنَّ الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ هو القرآن لا غير.

ومثله يقال في قوله تعالى (وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ)(النساء:١١٣) ،

وكذلك في قوله تعالى (وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢)(الإسراء:٢)، فإنَّ الكتاب المراد في هذه الآية هو التوراة لا غير ، فهي التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام.

عودٌ إلى مقصود الكلام:

ثم قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ)

أخبر الله تعالى أنَّه في القرآن آيات محكمات ، هنَّ أمُّ الكتاب، والمحكمات: أي بيّنات واضحات الدلالة، لا الّتباس فيها على أحدٍ ، ومنه آياتٌ أُخُر فيها اشتباه في الدلالة على كثيرٍ من الناس أو بعضهم، فمن ردَّ ما اشتبه إلى الواضح منه وحكَّم محكمَه على متشابهه عنده فقد اهتدى.

قوله تعالى: (**هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ**):أي أنَّ هذه الآيات المُحكمات هنَّ أصل الكتاب الذي يُرجع إليه عند الاشتباه ، وأمُّ الشيء أصله ، كما في قوله تعالى (وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ (٨) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ(٩))(**القارعة٨-٩**)

معنى فَأُمُّهُ : أي ناصيته ، لأنَّها أصل البدن ،وأثقل ما فيه ، وبفقدها يُفقد البدن ، بخلاف أطراف البدن مثلًا ، وكذلك أمُّ الشيء هي أصله ،كقوله تعالى عن مكة (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ)(الشورى:٧)،وقال تعالى عن اللوح المحفوظ (يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ)(الرعد:٣٩)

عودٌ إلى قوله تعالى (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ)

قد ورَد في وصف القرآن العظيم أنَّه كلَّه مُحْكَم ، كما قال تعالى (الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١))(هود:١)،والمعنى :

أنّه كتابٌ أحكمتْ كلُّ آياته ، فقد بلغ من الإتقان والإحكام غايته ومنتهاه ، لا ريب فيه ولا اختلاف ، كما قال تعالى (وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا)(النساء:٨٢) .

وكذلك قد ورَد أنَّ القرآن كلَّه متشابه كما في قوله تعالى (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ)(الزمر:٢٣)

والمراد بكونه كلَّه متشابهًا :أي من حيث الاتساق في الحُسن والبلاغة ، حيث يُصدِّق بعضُه بعضًا ، ويُشبه بعضه بعضًا موافقةً ، بلا تعارضٍ ولا تناقضٍ ، فهو متشابهٌ في الحُسن والائتلاف وعدم الاختلاف.

وأمَّا المراد بالإحكام والتشابه في آية آل عمران في قوله تعالى(مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ)، فإنَّه بخلاف ما سبق بيانه من أنَّ القرآن كلَّه محكم ومتشابه ، فقد قسَّمتْ آية آل عمران آياتِ القرآن إلى قسمين:

١-آياتٌ مُحكمة: فقد سبق بيان معانيها : أي بيّنات واضحات الدلالة ، لا الْتباس فيها على أحدٍ ، فهي غاية في الإتقان والإحكام ، لا ريب فيها ولا اختلاف.

٢-آياتٌ متشابهة :وقد اختلف أهلُ العلم في المراد بالمتشابه في هذا الموضع، على أقوال:

١ - **القول الأول**: أنَّ الآياتِ المُتَشَابِهَات هي ما اتفقتْ في اللفظ واختلفت في المعنى، وممَّا يُقرِّبُ معنى المراد بالآياتِ المُتَشَابِهَات ما قاله جلَّ ثناؤه {كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ} **[البقرة: ٢٥]**

يعني:أنَّها وإنْ تشابهتْ في المنظر فقد اختلفتْ في المَطْعَم ،[1] وكذلك الآيات المُتَشَابِهَاتٌ ؛ فهي وإنْ تشابهت في الحرف فإنَّ المعنى مختلفٌ .

فتأمَّل مثلًا: مادة كلمة الصلاة كيف اتفقت في لفظها واختلفت في معانيها، كما في قوله تعالى (خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ)(التوبة:١٠٣)، وقوله تعالى(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلْئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّور)(الأحزاب:٤٣)،وقوله تعالى(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)(التوبة:٨٤)، وقوله تعالى(وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢)(الأنعام:٧٢)

ففي الآية الأولى:المراد بالصلاة هي المعنى اللغوي ، وهي الدعاء.

وفي الآية الثانية: المراد بالصلاة هي ثناء الله تعالى على عباده في الملأ الأعلى ، وصلاة الملائكة : استغفارها للمؤمنين.

---

[1] **فائدة** : ورد في القرآن لفظيّ :«مشتبهاً» و«متشابهاً»، كما في قوله تعالى (وَجَنَّٰتٖ مِنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۗ)(الأنعام:٩٩)، الفرق بين «مشتبه» و «متشابه» يكمن في درجة الالتباس:

أ- فالمشتبه :من الاشتباه ، وهو الشيء الذي يختلط بغيره اختلاطا شديدا ، حيث يتقاربان حتى يصعب التمييز بينهما .

ب- بينما المتشابه :من التشابه ، وهو اتفاق في صفة أو هيئة دون التباس أو اختلاط تام.والله أعلم.

وفي الآية الثالثة : المراد بالصلاة هي صلاة الجنازة بهيئتها المعروفة.
وفي الآية الرابعة: المراد بالصلاة هي الصلاة المفروضة ذات الركوع والسجود.
٢- **القول الثاني**: أنَّ الآياتِ المُتَشَابِهَات هي التي تشتبه على فهوم كثيرٍ من الناس لكون دلالتها مجملة ، حيث يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها ، ولا يزول مثل هذا الاشتباه إلَّا بردِّ المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي .
ومثال ذلك : تعلُّق الضالُّون بالمتشابه في قول الله تعالى: {وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا } (التحريم: ١٢)، وقوله تعالى :{ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ } (النساء: ١٧١)، فلقد شغَّبوا بما تشابه من هذين النَّصين في زعمهم الباطل أنَّ عيسى عليه السلام هو رُوح الله تعالى القائمة به، في حين أنَّهم عَمُواْ وَصَمُّواْ عمَّا ذكره القرآنُ في مواطن كثيرة محكمة من التنصيص على عبودية المسيح عليه السلام ، ومنه قوله تعالى:
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ (الزخرف: ٥٩)، وكذلك فقد نطَق عيسى عليه السلام في مهده وصرَّح بهذه الحقيقة، كما قال تعالى حكايةً عنه ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ (مريم:٣٠)، ومثله في قوله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ (آل عمران:٥١).
٣- القول الثالث:
أنَّ المتشابه ما لم يكن لأحدٍ إلى علمه سبيل ، ممَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ تعالى بعلمه دون خلقه، فمن ذلك : وقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة ، وما أشبه ذلك، فإن ذلك لا يَعْلَمُه أحدٌ إلَّا الله تعالى.
وممَّا يدخل في المتشابه على هذا القول:الحروف المقطَّعة التي في أوائل بعض سور القرآن، من نحو : كٓهيعٓصٓ، الٓمٓ ، الٓمٓصٓ .
عودٌ إلى قول الله تعالى (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ....)
والمعنى :أنَّ الذين في قلوبهم زيغ ، أي ضلال وهوى يتبعون ما تشابه منه خاصة ليحرِّفوه حسب مقاصدهم الفاسدة .
ولا شك أنَّ هذا هو أحد أسباب ضَلالِ القوم ، وذلك حين تراهم يتَّبعون ما تشابه من نصوص الشريعة ابتغاء الفتنة ، وابتغاء التأويل المخالف لمعاني التنزيل ، فتراهم يحملون المتشابه من النصوص على تأويلاتٍ مُحدَثة أحدثوها هم وأسلافهم ما أنزل الله تعالى بها من سلطانٍ ؛ إتِّباعًا للظن وما تهوى الأنفس.

قال الطبري عن قوله تعالى (ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ....): أي إرادةَ الشُّبُهاتِ واللَّبْسِ على نفسِه وعلى غيرِه، احتجاجًا به على باطلِه الذي مالَ إليه قلبُه، دون الحقّ الذي أبانه اللهُ تعالى ، وهذه الآيةُ وإن كانت نزَلَتْ في أهلِ الشِّرْكِ ، فإنَّه مَعنيٌّ بها كلُّ مُبتدِعٍ في دينِ اللهِ تعالى بدعةً، فمالَ قلبُه إليها، تأويلًا منه لبعضِ متشابِهِ آيِ القرآنِ، ثم حاجَّ به وجادَل به أهل الحقّ، وعدَلَ عن الواضحِ من أدلَّةِ آيه المُحْكَماتِ؛ إرادةً منه بذلك اللَّبْسَ على أهلِ الحقّ من المؤمنين، وطلبًا لعِلْمِ تأويلِ ما تشابَهَ عليه مِن ذلك، كائنًا مَن كان، وأيَّ أصنافِ البَدَعة كان؛ من أهلِ النصرانيةِ كان، أو اليهوديّةِ، أو المجوسيّةِ، أو كان سَبَئِيًّا، أو حَرُورِيًّا، أو قَدَريًّا، أو جَهْمِيًّا.[1]

وقال ابن كثير: أي: إنَّما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لمَا يصرفونه، فأمَّا المُحكم فلا نصيبَ لهم فيه لأنه دامغٌ لهم وحجةٌ عليهم، ولهذا قال الله تعالى: {ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} أي: الإضلال لأتَّباعهم إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم.[2]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ....} قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ تعالى فَاحْذَرُوهُمْ ".[3]

وعن أبي غالب البصري قال: كنتُ بالشام، فبعث المهلّب سبعين رأسًا من الخوارج، فنُصِبُوا على درَج دمشق، وكنتُ على ظهر بيتٍ لي، فمرَّ أبو أمامة رضي الله عنه، فنزلتُ فاتبعتُه ، فلما وقف عليهم دمعتْ عيناه، وقال: سبحان الله! ما يصنع الشيطانُ ببني آدم ! كلاب جهنم، شرُّ قتلى تحت ظلِّ السماء، طوبى لمن قتَلهم أو قتلوه،

---

[1] يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن(٢١٤/٥)
والسبائية: إحدى فرق الشيعة الغالية، وهي تنسب إلى عبد الله بن سبأ، قبحه الله تعالى ، ومن جهالاتهم زعمهم أنَّ عليًا رضي الله عنه لم يمتْ، وأنَّه في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه ، وأنه سيرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأُ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، ... إلى غير ذلك من ترهاتهم.
وأمَّا الحرورية: فهم فرقة الخوارج، وسمُّوا بهذا الاسم لأنهم بعد خروجهم على عليٍّ رضي الله عنه ورفضهم التحكيم، نزلوا بموضع قرب الكوفة يقال له: حروراء.
يُنظر :مقالات الإسلاميين(٨٦/١) ،والملل والنحل (٣٦٥/١)

[2] يُنظر: تفسير القرآن العظيم(٣١٢/٢)

[3] أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)

قلتُ: رأيتُك بكيتَ حين رأيتهم؟! قال: بكيتُ رحمةً حين رأيتُهم؛ كانوا من أهل الإسلام، فقرأ: {الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} ، حتى بلغ: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ} ، وإنَّ هؤلاء كان في قلوبهم زيغٌ فزِيغَ بهم .[1]

قال الإمام أحمد:أمَّا من تأوَّل القرآن على ظاهره بلا دلالةٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدٍ من أصحابه رضي الله عنهم ، فهذا تأويلُ أهل البدع ، لأنَّ الآية قد تكون خاصةً ويكون حكمها حكمًا عامًا، ويكون ظاهرها على العموم، فإنَّما قُصدتْ لشيء بعينه، ورسول الله ﷺ المعبّر عن كتاب الله عز وجل، وما أراد ، وأصحابه رضي الله عنهم أعلم بذلك منَّا لمشاهدتهم الأمر وما أريدَ بذلك.[2]

قال ابن القيّم: الذين يستمسَّكون بالمتشابه في ردّ المحكم لهم طريقان في ردّ السنن؛ أحدهما: ردُّها بالمتشابه من القرآن أو مِن السُنن، الثاني: جعلُهم المحكم متشابهًا ليعطِّلوا دلالته ، وأما طريقة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة الحديث فيردُّون المتشابه إلى المحكم، ويأخذون من المُحكَم ما يفسِّر لهم المتشابه ويبيّنه لهم، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضًا؛ فإنها كلَّها من عند الله تعالى ، وما كان من عند الله تعالى فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره.[3]

وهكذا دومًا سُنَّة أهل البدع ، كالخوارج والمعتزلة والمرجئة ،وكلٌّ من على شاكلتهم ، حيث تراهم يركنون إلى ما تشابه من النصوص لتقوية أقوالهم الفاسدة ، ونذكر من أمثلة ردِّ أهل البدع للمحكم من القرآن والسنن بالمتشابه منهما :
ما ذهبوا إليه من أنّ المسلم إذا مات على كبيرة من الكبائر دون أن يتوب منها استحَق الخلود في النار ، ولا يدخل تحت المشيئة.
ومن الأدلة التي بنوا عليها هذا الأصل الفاسد:
قوله تعالى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...} [النساء: ٩٣]، وما ورَد في الصحيحين من قول النَّبِيِّ ﷺ: " مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا"، وما في الصحيحين من قوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، ونحو ذلك من الآيات والأحاديث.[4]

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٩٧٣٨) وأحمد (٢٢٢٨٣) والترمذي (٣٠٠٠)، وحسنه الترمذي.
يُنظر: الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين(٥٠/١)
[2] يُنظر: السنة للخلال(٢٢/٤)
[3] يُنظر:أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين (٥٨/٤)
[4] ومن باب التحقيق نقول:=

وأمَّا أهل السنة فحملوا ما سبق من الأدلة المتشابه على النصوص المحكمة ،والتي أفادتْ في مجموعها أنَّ المرء إذا ما مات على التوحيد فلا يُحكم له بالخلود في النار ، وإن مات مُصرًّا على كبيرةٍ ، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]، ومفهوم قوله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]

وقوله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ "لا إلَهَ إلّا اللهُ" يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ تعالى».[1]

ومِثل هذا الجواب يقال في كل دليلٍ نصَّ على خلود فاعل الكبيرة في النار.

مثالٌ آخر:

ما نحى إليه نفاة رؤية الله تعالى في الآخرة ، وهم المعتزلة ، حيث زعموا أنَّ قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾**(القيامة٢٢-٢٣)** ، من المتشابه الذي يجب حمله على المحكم في قوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَوَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣))(الأنعام:١٠٣)، فقال نفاة الرؤية :

قد نفتْ الآية رؤية الله تعالى ،في قوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ..)، فكما أنَّ الله تعالى يدرك الأبصارَ في الدنيا والأخرة، فكذلك أبصار العباد لا تدركه لا في الدنيا ولا في الآخرة .[2]

مثالٌ ثالثٌ:

مسألة علُّو الله تعالى بذاته في السماء:

فقد وردتْ في القرآن آياتٌ كثيرةٌ محكماتٌ تثبت أنَّ الله عز وجل في السماء بذاته ، مستوٍ على عرشه ، كما يليق بجلاله ،كما قال الله سبحانه وتعالى : (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

=إنّ القول بخلود فاعل الكبيرة في النار على التأبيد- إنّما هو قول جمهور المعتزلة، لا جميعهم، أمّا ما نقله القاضى عبد الجبّار من إجماع المعتزلة على كفر فاعل الكبيرة ، وأنه مخلَّد في النار كالكافر- فهذا إجماعٌ منه فيه نظرٌ؛ فقد قال البغداديّ:

"دعوى إجماع المعتزلة على أنَّ الله - سبحانه - لا يغفر لمُرتكبي الكبائر من غير توبةٍ منهم- غلطٌ مِنْهُ عليهمْ؛ لأنّ محمد بن شبيب البصريَّ والصالحيَّ والخالديَّ هؤلاءِ الثلاثة مِن شيوخ المعتزلة، وهم واقفيّةٌ في وعيد مرتكبي الكبائر، وقد أجازوا من الله - تعالى - مغفرةَ ذنوبِهم مِن غير توبةٍ "؛ لذا قد خصَّ الأشعري الإجماعَ بأهل الوعيد منهم، فقال: "وأجمعَ أصحاب الوعيد من المعتزلة أنَّ مَن أدخله الله -تعالى- النارَ خلَّدَه فيها".

وانظر الفَرْقُ بين الفِرَقِ (ص/٩٦) والوعد الأخروي (١/ ٤٥٩)،والأربعون العقدية، أربعون حديثًا فى أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٤٠/١)للمصنف.

[1] متفق عليه. والمراد: تحريم التخليد، أو تحريم دخول النار المُعَدّة للكافرينَ، لا الطَّبَقةِ المعَدّة للعُصاة.

[2] وهذه أحد الأدلة التى شغَّب بها القاضي عبدالجبار المعتزلي في كتابه "متشابه القرآن" (ص/٢٥٥)، ويُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(٥٤/٢) ، وشرح الأصول الخمسة (ص/٢٣٣)

حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ)(الْمُلْك: ٦-٧)، وقال الله تعالى:(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الْأَنْعَامِ : ١٨] ، وقال الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى(١)) (الأعلى:١)
وجاءت بعض الآياتِ المتشابهات التي قد يُفهم منها خلاف ما سبق، مثل قوله تعالى:
(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الْحَدِيدِ: ٤] ،وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[المجادلة: ٧].
فمثل هذه الآيات استدل بها أهل البدع على أنَّ الله تعالى ليس في السماء ، ولا يُنسبُ له الجهة ، بدعوى أنَّ الله تعالى منزَّهٌ عن المكان ، وأنَّ إثبات ذلك يلزم منه القول بالحدِّ والجهة، وهذه الأمور- حسب زعمهم- لازمها إثبات الجسمية، والأجسام حادثة، والله منزَّه عن الحوادث!![1]
وأمَّا أهل السُنَّة فقالوا بالمحكم من الدلائل البيّنة والتي أفادت أنَّ الله تعالى في السماء بذاته ، دون أن تُعارَضُ مثل هذه الأدلة المحكمة بما ابتدعته المناهج العقلية المحدثة والتي نفتْ صفة علو عن الله- تعالى- بذاته .
قال ابن بطة: وأجمع المسلمون من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أنَّ الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته بائنٌ من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه ، لا يأبى ذلك ولا يكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية، وهم قوم زاغت قلوبهم واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدِّين.[2]
وأجاب أهل السنة على شبهات القوم فقالوا:أنَّ الله تعالى مع خلقه بعلمه ، فلا يخلو مكانٌ من علم الله عزوجل ، وهذا المعنى هو الذي أراده الله تعالى .
فتأمَّل آية سورة(الحديد:٤) في قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
فقد بدأتْ بذكر استواء الله تعالى على عرشه ، ثم ثنّت ذلك بذكر علمه بما يدخل في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء ويصعد فيها، ثم ذكرتْ أنه تعالى مع خلقه أينما كانوا أي بعلمه ، ثم خُتمتْ الآية بذكر أنه تعالى بكل شيء بصير.
ومثله يقال في آية [المجادلة: ٧] :

---

[1] كما نصَّ على ذلك الرازي في "الأربعين في أصول الدين" (١/ ١٤٩)
[2] يُنظر: الإبانة (٣/ ١٣٦)

فإنَّ الآية بدأها الله تعالى بالعلم وختمها بالعلم ، فقال في أولها: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) وقال في آخرها : (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)،فبان بذلك من خلال ذكر السباق واللحاق أن المراد بالمعية في الآية إنما هي معية العلم ، لا معية الذات كما ظنَّ نفاة علُّو الله تعالى.

قال أبو عمر بن عبد البر : وأمّا احتجاجُهم بقوله عز وجل: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧] ،فلا حُجَّةَ لهم في ظاهر - هذه الآية؛ لأنَّ علماءَ الصحابةِ رضي الله عنهم والتابعينَ الذين حُمِلت عنهم التآويلُ في القرآن قالوا - في تأويل هذه الآية -: هو على العرش، وعلمُه في كلِّ مكانٍ ،وما خالَفهم في ذلك أحدٌ يُحتَجُّ بقوله.[1]

ومثله يجاب به على شبهات نفاة العلو ، في قوله تعالى﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾(الأنعام:٣)، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾(الزخرف:٨٤)

فالذين في قلوبهم زيغٌ جعلوا مثل هذه الآيات حجتهم على نفي علُّو ذات الله تعالى والمعنى الصحيح للآية: أنَّ الله تعالى هو الإله المعبود في السماوات ،والمعبود في الأرض.

قال ابن عبد البر: فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في السماء إلهٌ معبود من أهل السماء، وفي الأرض إلهٌ معبود من أهل الأرض، .... وقوله " وفي الأرض إله ": فالإجماع والاتفاق قد بيَّن المراد بأنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله.[2]

وروى الآجري بسنده في تفسيره هذه الآية عن قتادة قوله: "هو إلهٌ يُعبد في السماء، وإلهٌ يُعبد في الأرض ".[3]

قال أحمد: إنما معنى قوله تبارك وتعالى: {وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ} [الأنعام: ٣] يقول: هو إلهٌ من في السموات، وإلهٌ من في الأرض.[4]

فقوله تعالى (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ)

---

[1] يُنظر: التمهيد(٥/١٥٠)

[2] يُنظر: المصدر السابق(٣/٣٤٢)

[3] يُنظر: الشريعة (٢/ ٨٣)، وقال محققه: "أثر قتادة لا بأس به".

[4] يُنظر الردعلى الزنادقة والجهمية (ص/٢٩٢) وقد أجاب عن هذه الشبهة جمع من السلف، فليراجع لذلك مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٤) والرسالة الوافية (ص/١٣٢) وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٩) والصواعق المرسلة (٤/ ١٣٠٠) والإبانة الكبري (٧/ ١٤٣)

فالمعنى: أنَّ الله -تعالى- هو المألوه الذي تألهه القلوب، المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين في السماوات وفي الأرض،والألوهية: هي العبودية، والتألُّه: هو التعبُّد، وهكذا معناها الاصطلاحي، فكلمة "إله" في القرآن يراد بها المعبود.

وحاصل ما سبق أنَّ نقول: أنَّ الردَّ على شبهاتِ مَن في قلوبهم زيغٌ دومًا يكون بالسُنن والحُجج ، فهذا هو سلاح أهل العلم ، وهذا الذي يقمع شبهات الأنظار الكلامية، وتدمغ رؤوس أصحابها بمقامع من حديد ، ولهذا ترى أهل الأهواء والبدع يعادون ويبغضون أهل السنن والآثار.

قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه:" إيَّاكُم وأصحابَ الرَّأيِ ؛ فإنَّهم أعداءُ السُّنَنِ ، أعيتهمُ الأحاديثُ أنْ يحفَظوها، فقالوا بالرَّأيِ، فضلُّوا وأضلُّوا ".[1]

قال أبو بكر بن أبي داود: أهل الرأي هم أهل البدع .

وعن أبي نضرة، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنهم كانوا يتذاكرون الحديث، فقال رجل: دعونا من هذا، وجيئونا بكتاب الله تعالى،فقال عمران: إنَّك أحمق! أتجدُ في كتاب الله تعالى الصلاةَ مفسَّرةً ؟! أتجد في كتاب الله تعالى الصيام مفسَّرًا ؟! إنَّ القرآن أحكمَ ذلك، والسُنَّة تُفسِّر ذلك.[2]

قال إبراهيم بن أحمد الطبري المقرئ : سمعتُ جعفر الخلَدي يقول: لو تركني الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا ! مضيتُ إلى عَبَّاس الدُّوْرِيّ،وأنا حَدَث فكتبتُ عنه مجلسًا واحدًا وخرجتُ من عنده؛ فلقيني بعضُ من كنت أصحبه من الصوفية ؛ فقال:أيش هذا معك؟ فأريته إيَّاه؛ فقال: ويحك ؛ تدع عِلمَ الخِرَقِ وَتأخذ علمَ الوَرَق ،قال: ثم خرَّق الأوراق؛ فدخل كلامه في قلبي ، فلم أعُدْ إلى عباس.

قال الذهبي معقِّبًا: ما ذا إلَّا صوفي جاهلٌ يُمزِّق الأحاديثَ النبوية، ويحضُّ على أمرٍ مجهول، فما أحوجه إلى العلم![3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أهل العبادات البدعية يُزيِّنُ لهم الشيطان تلك العبادات ويُبَّغض إليهم السبل الشرعية ، حتى يُبَّغضهم في العلم والقرآن والحديث ، فلا يُحبّون

---

[1] أخرجه الدارقطني في "سننه" (٤٢٨٠) واللفظ له،وابن القيم في إعلام الموقعين (١٠٣/٢)،قال الشيخ مشهور في تحقيقه "إعلام الموقعين:"صحيح بطرقه".

[2] أخرجه الآجري في "الشريعة" (٩٨)، وابن بطة في "الإبانة" (٦٧)، والهروي في "ذمُّ الكلام وأهله" (٢٥٢)

[3] يُنظر: تاريخ بغداد(١٤٧/٨)وسير أعلام النبلاء(٥٥٩/١٥)

عبارة " تدع عِلم الخِرَقِ وَتأخذ علم الوَرَق " هي مقولة صوفية قديمة، يقصد بها الإنكار على مَن اهتم بعلم الورق" ، أي العلوم الشرعية المكتوبة في الكتب من العقيدة والفقه والحديث، وترَك الاشتغالَ بـ "علم الخِرَق" ، أي عبادات التصوُّف والمجاهدة، والخرقة ترمز إلى لباس الصوفية.

كتابًا ولا من معه كتاب ، ولو كان مصحفًا أو حديثًا ؛ كما حكى النصرباذي أنهم كانوا يقولون: " يَدَعُ عِلْمَ الْخِرَقِ وَيَأْخُذُ عِلْمَ الْوَرَقِ" ، وكثيرٌ من هؤلاء ينفر ممَّن يَذكر الشرع أو القرآن أو يكون معه كتابٌ أو يكتب؛ وذلك لأنهم استشعروا أنَّ هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم ، فصارت شياطينهم تُهرِّبهم من هذا كما يُهرِّب اليهودي والنصراني ابنَه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغيَّر اعتقاده في دِينه.[1]

وقد ذكر الإمام الذهبي في ترجمة الشهرستانيّ محمد بن عبد الكريم بن أحمد:

أنه كان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذَّبِّ عنهم، فلم يكن يذكر في مجالسه: "قال الله" ، ولا "قال رسوله"، فسأله يومًا سائلٌ، فقال: سائر العلماء يذكرون في مجالسهم المسائل الشرعية، ويجيبون عنها بقول أبي حنيفة والشافعي، وأنت لا تفعل ذلك ؟! فقال: مَثلي ومَثلكم كمَثل بني إسرائيل يأتيهم المَنُّ والسَّلْوى، فسألوا الثُّوم والبصل!![2]

قال الذهبي :إذا رأيتَ المبتدِعَ يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث، وهات العقل، فاعلم أنَّه أبو جهل، وإذا رأيتَ السالكَ التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجْد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حلَّ فيه، إن جَبُنتَ منه فاهرب، وإلَّا فاصرعه، وابركْ على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي، واخنقه.[3]

عودٌ إلى قول الله تعالى (وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ) (آل عمران:٧)

وهنا فائدة : فى قوله تعالى (وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ) إذا كانت الهاء في قوله "تاويله" تعود على المتشابه، فهل نقف على قوله تعالى (وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ) ،أم نصل الكلام بما بعده ، فنقول(وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ)؟

جمهور العلماء على القول بالوقف،وأنَّ الواو في قوله تعالى (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ)هي للاستئناف،وليستْ للعطف، وقال بذلك: أبي بن كعب وابن عباس وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم.

وقال بالوصل الربيع بن أنس ومجاهد بن جبر،وهو مرويٌ كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما :بأن يُعطف "الراسخون في العلم"على لفظ الجلالة وصلًا، وأمَّا سبب الخلاف بين القولين:

---

[1] يُنظر: مجموع الفتاوى(٤١٢/١٠)

[2] يُنظر: سيرأعلام النُّبلاء (٢٠/ ٢٨٨).

[3] يُنظر: المصدر السابق(٤ / ٤٧٢)

أمَّا على قراءة الوقف : فالمعنى أنَّ تاويل هذا المتشابه ممن انفرد الله تعالى بعلمه فيجب الوقف، أمَّا على قراءة الوصل فيكون تأويل المتشابه ممَّا يعلمه الله تعالى ، ويعلمه كذلك الراسخون في العلم ، وقالوا: تسميتهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب ،وإلَّا ففي أي شيءٍ يكون رسوخهم إذا كانوا يعلمون ما يعلمه غيرهم.

وأمَّا حُجة الجمهور الذين قالوا بالوقف: هو أنَّ سياق الآية في قوله تعالى (كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)، دلَّ على أنَّ الراسخين في العلم لمَّا خفي عليهم علم المتشابة سلَّموا الأمر والعلم به لله تعالى وحده .

والراجح والله أعلم هو التفصيل:

ذلك أنَّ المتشابه الواقع في القرآن نوعان: حقيقي، ونسبي:

١- **فالحقيقي**: ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، مثل: حقيقة ما أخبر الله تعالى به عن نفسه وصفاته ،فإنَّا وإن كنَّا نعلم معاني تلك الأخبار فإننا لا نعلم حقائقها وكنهها، كما قال الله تعالى عن نفسه: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}

،وكذلك كلُّ ما يتعلَّق بأمور اليوم الآخر ،كوقت قيام الساعة وما يقع من حال أهل الجنة وأهل النار ، كما قال تعالى: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧].

وفي الحديث القدسي الثابت في الصحيحين عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "قَالَ اللَّهُ تعالى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ".

القسم الثاني من المتشابه،وهو النسبي:

فهو ما كان متشابهاً على بعض الناس دون بعض، فيعلم منه الراسخون في العلم والإيمان ما يخفى على غيرهم، إما لنقص في علمهم، أو تقصير في طلبهم، أو قصور في فهمهم، أو سوء في قصدهم.

ولهذا النوع أمثلة كثيرة في المسائل العلمية الخبرية، والمسائل العملية الحكمية، وغالب المسائل التي اختلف الناس فيها أو كلها من هذا النوع.

فمن أمثلة ذلك في المسائل العلمية الخبرية :قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] ،حيث اشتبه على النفاة أهل التعطيل ففهموا منه انتفاء الصفات عن الله تعالى، ظناً منهم أن إثباتها يستلزم مماثلة الله تعالى للمخلوقين؛ فنفوا عن الله تعالى ما وصف به نفسه ، وأعرضوا عن الأدلة السمعية والعقلية الدالة على ثبوت صفات الكمال الله عز

وجل، على ما يليق به سبحانه وتعالى ، وغفلوا عن كون الاشتراك في أصل المعنى لا يستلزم المماثلة في الحقيقة.

ثم إنهم لو أمعنوا النظر في هذا المنفي في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١]،لتبيَّن لهم أنه يدل على ثبوت الصفات لا على انتفائها، ذلك أنَّ نفي المماثلة يدل على ثبوت أصل المعنى، لكن لكماله تعالى لا يماثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولولا ثبوت أصل الصفة، لم يكن لنفي المماثلة فائدة.

مثال آخر:

قال تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...) (آل عمران/٥٥) وَقَوْلِهِ تعالى حاكيًا عن عيسى عليه السلام (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) [المائدة / ١١٧]

فقد أفادتْ هذه الأيات أنَّ الله -تعالى - قد تَوفَّى عيسى عليه السلام قبل رفعه إليه، في حين أنَّ الأحاديث قد أفادت أنَّ عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان وسيموت ويصلِّي عليه المسلمون، كما صحَّ ذلك في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ- رضى الله عنه - أَنَّ- النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ". [١]

وجواب ذلك من وجوه:

١) الأول: أنَّ المراد بالتوفِّي هنا النوم، وكأنَّ عيسى عليه السلام قد نام فرفعه الله - تعالى- نائماً إلى السماء، ويطلق على النوم وفاة، كما قال الله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ" (الأنعام: ٦٠).

وعَنْ حُذَيْفَةَ -رضى الله عنه- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».(أخرجه البخاري (٦٣٢٤).

وهذا القول مروي عن الحسن، ومال إليه ابن كثير.[٢]

٢) الثاني:أنَّ قوله تعالى (مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ) يحمل على الوفاة بمعنى الموت على الحقيقة، ولكنَّ الله -تعالى- عطف الرفعَ على الوفاة، والعطف إنما يفيد مطلق الجمع دون الترتيب، وكأنَّ المعنى: إنِّي رافعك إليّ ومتوفِّيك بعد ذلك.

---

[١] أخرجه أحمد (٩٢٧٠) و أبو داود (٤٣٢٤) وابن حبان (٦٨٢١) صححه الحافظ ابن حجرفي "الفتح (٦/ ٤٩٣) وقال ابن كثير في "البداية والنهاية " (١/ ١٨٨): هذا إسناد جيد قوي.

[٢] يُنظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٨)

ويُروى هذا القول عن ابن عباس وقتادة ووهب بن منبه، وهو قول ابن حزم ومحمد بن اسحاق.[١]

٣)الثالث: أنَّ قوله تعالى : " متوفيك "حقيقة لغوية في استيفاء الشيء وأخذه كاملاً غير ناقصٍ ، والعرب تقول: تَوفَّى فلانٌ دَينَه يتوفاه فهو متوفٍ له إذا قبضه وحازه إليه كاملاً غير منقوصٍ.

فصار المعنى على التوحيه اللغوي: إني متوفِّيك، أي حائزك ومستوفيك إليَّ كاملاً بروحك وجسمك.[٢]

وهذا هو الراجح، والله أعلم، وهذا ما رجَّحه الطبري والقرطبي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبد البر وابن الجوزي، وغيرهم.[٣]

قال الألوسي: والصحيح كما قاله القرطبي أنَّ الله -تعالى - رفعه من غير وفاةٍ ولا نومٍ ، وهو اختيار الطبري والرواية الصحيحة عن ابن عباس رضى الله عنهما.[٤]

فرع مهم:

قوله تعالى (وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ)،وهنا مسألة حول المعنى المراد بالتأويل في هذه الآية.

نقول: اعلم أنَّ التأويل يطلق ويراد به عدة معانٍ :

الأول: التفسير وإدراك المعنى، ومنه قول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ".[٥]

ومنه ما ورَد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها:" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: " سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ اغْفِرْ لِي ،يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ" [٦]، ومعنى يتأوَّل القرآن: أي يُبيّن المراد منه ، فقوله ﷺ :" سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ اغْفِرْ لِي " هو امتثال لقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾(النصر:٣) .

ودومًا تجد قول ابن جرير وغيره من علماء التفسير يقولون : تأويل قوله تعالى: كذا وكذا ،أي: تفسيره وبيانه.

٢ -**المعنى الثاني**:

---

[١] يُنظر : تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/٨٨) والدرة (ص/١٠٩) وفصل المقال للهرَّاس (ص/١٠)

[٢] يُنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ١٣١)

[٣] يُنظر :الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٦٥) وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٨٧) والتمهيد (٥/ ٤٤٢)

[٤] يُنظر: روح المعاني (٢/ ١٧٢)، ولمزيد بيان لذلك: ينظر في: جامع البيان في تأويل القرآن (٦/ ٤٥٨) و التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٤/ ٢٠٢)

[٥] أخرجه أحمد (٣٠٢٣) ،قال الحافظ العراقى فى تخريج " الإحياء(٦٣/١):"قال الحاكم: صحيح الإسناد"، ولفظه عند البخاري: "اللهم! فقهه في الدين"، ولفظه عند مسلم:" اللهم! فقهه".

[٦] متفق عليه.

هو ما تؤول إليه حقائق الأشياء عند وقوعها، كقوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف:٥٣] أي: يوم يقع هذا الذي كانوا ينكرونه على رسلهم يعلمون وقتها أنَّ الرسل عليهم السلام كانوا على الحق المبين، وفي قصة يوسف عليه السلام (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ) [يوسف:١٠٠] أي: وقت وقوع الرؤيا التي رآها وهو صغير ، وهي قوله(إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)[يوسف:٤] .

٣-**المعنى الثالث** :وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى معنيٍ آخر، وهذا له ثلاث حالات :

الحالة الأولى: أن يُصرَف اللفظُ عن ظاهره بدليلٍ صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك، وهذا هو الذي يُسمَّى بالتأويل الصحيح ، فالذي جعلنا نصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح إنَّما هو الدليل الظاهر.

ومثاله:ما ورد في الحديث القدسي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ:" مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا".[1]

فلا شكَّ أنَّ الحديث لا يؤخذ على ظاهره ، فالصحيح في تأويل هذا الحديث :

أنَّ العبد لا يزال يرتقي فى مقامات العبودية بأداء الفرائض، ويتزلَّف لربِّ البرية بالسنن والنوافل حتى يفتح عليه بالتوفيق والتسديد، فيكون عبداً موفقاً فى سمعه وبصره ولسانه، فلا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخطو خطوة إلا فيما يكون موافقاً لمرضاة الله عزوجل.

---

[1] أخرجه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

وأما أهل البدع من الحلولية والاتحادية فقد ركنوا إلى قوله عزوجل " فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ... " فى فريتهم المشئومة بأن الله -تعالى- يحل في مخلوقاته ويتحد بهم، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

وتعتقد غلاة القبورية جهاراً دون إسرار، ولا حياء من العباد ولا من رب العباد أن الولي قد يصل إلى درجة، يصل إلى الله، تعالى - عن الأنداد - بحيث أن الله - تعالى - إنما يحل فيه فيكون الولي مظهراً من مظاهر الله تعالى، أو يكون الولي عين الله تعالى؛ فيكون يد الولي وسمعه وبصره - يد الله وسمعه وبصره ؛ فحينئذ طلب المدد من الولي والاستغاثة به - في الحقيقة طلب من الله تعالى واستغاثة به.

وقد تشبثوا بحديث " من عادى لى ولياً " فى إثبات هذا الإلحاد والزندقة وجواز الاستغاثة بالأموات، وطلب الغوث والمدد منهم؛ بناءً على أن الولي قد صار هو عين الله، أو أن الله -تعالى -قد حلَّ في الولي.

يُنظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٣/ ١٣١٤)

وكذلك قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل: ٩٨]، أي: إذا أردتَ أن تقرأ، وليس المعني: إذا أكملت القراءة، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأننا علمنا من السنة أنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام إذا أرد أن يقرأ، استعاذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم ، لا إذا أكمل القراءة»

الحالة الثانية:

أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بتأويل باطل لا يستند إلى أي دليل، وهذا لا شك أنه من التلاعب بدين الله تعالى ، ومن البدع الحقيقية ؛ وذلك حين ترى مَن يأتي إلى دليلٍ شرعيٍ ثابتٍ فيستدلُّ به على أمرٍ لا وجه فيه لاستدلاله، لا في نفس الأمر، ولا بحسب الظاهر، لا في الجملة، ولا في التفصيل، وليست هناك شائبةُ تعلُّقٍ بين الدليل والمدلول، ولا شبهة اتِّصال بينهما ، ومثال ذلك:

١-أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ جَابِرَ الجُعفي عَنْ قَوْلِهِ عز وجل: {فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}**(يوسف:٨٠)**، فَقَالَ : لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هَذِهِ، فقَالَ سُفْيَانُ بن عيينة : وَكَذَبَ ؛ إِنَّ الرَّافِضَةَ تَقُولُ: إِنَّ عَلِيًّا فِي السَّحَابِ، فَلَا نَخْرُجُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مِنْ وَلَدِهِ، حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ - يُرِيدُ عَلِيًّا أَنَّهُ يُنَادِي "اخْرُجُوا مَعَ فُلَانٍ، وَكَذَبَ، كَانَتْ فِي إِخْوَةِ يُوسُفَ ﷺ ". [١]

٢-قوله تعالى (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) **(الفاتحة:٦)**

روى القمّيُ عن والده بسنده إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فيما نسبوه إليه أنَّه قال :" ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ": هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، يدل عليه قوله تعالى (وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)**(الزخرف:٤)** فهو أمير المؤمنين عليه السلام في أمّ الكتاب، وقوله تعالى(غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) **(الفاتحة:٧)** وٱلۡمَغۡضُوبِ

---

[١] أخرجه مسلم في مقدّمة صحيحه(١٦/١)

جَابِر الجُعفي : هو جابر بن يزيد بن الحارث أبوعبدالله الجعفى الكوفى ، من الخامسة، مات سنة سبع وعشرين ومائة ، كذَّبه: زائدة وابن معين وأحمد بن خراش والجوزجانى وليث بن أبي سليم وأيوب وابن عيينة ،وتركه: يحيى والنسائى ،وضعفه: ابن سعد والعجلى وأبوزرعة وأبوداود والترمذى والحاكم ،ووثقه: الثورى ووكيع.

قال زائدة : جابر الجعفي رافضي يشتم أصحابَ النبي ﷺ ،قال ابن حبان: كان سبائيًا من أصحاب عبدالله بن سبأ ، وكان يقول إنَّ عليًا عليه السلام يرجع إلى الدنيا ..... فإن احتج محتجٌ بأنَّ شعبة والثوري رويا عنه **!**

قلنا: الثوري ليس من مذهبه ترك الرواية عن الضعفاء ..... ، وأما شعبة وغيره من شيوخنا فإنهم رأوا عنده أشياء لم يصبروا عنها ،وكتبوها ليعرفوها فربَّما ذكرأحدهم عنه الشيء بعد الشيء على جهة التعجُّب.

يُنظر:المجروحين من المحدثين (٢٠٩/١) وميزان الاعتدال (٣٨٣/١)وتهذيب التهذيب(٥٢٧/٢)

قال الشيخ رشيد الكنكوهي(ت:١٣٢٣هـ): " قول سُفْيَان بن عيينة: " إنَّ الرافضة تقول ... ": ولعلَّ منشأ انتزاعهم: ما وَرَدَ من أنَّ مناديًا ينادي حين يخرج المهدي عليه السلام يسمعه كُلُّ أحد: إنَّ هذا ... فاتبعوه واخرجوا معه ، فذهبوا بالرواية هذا المذهب، وجعلوا المناديَ عَليًّا ، مع أنه الهاتف".

يُنظر: "الحل المفهم لمشكلات صحيح مسلم" (١/ ١٧).

عَلَيۡهِمۡ : هم النُصَّاب ، و"ٱلضَّآلِّينَ": الشكَّاك الذين لا يعرفون الإمام ، أي علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[1]

وإنَّما قصدوا بالنُصّاب:أي الذين يعتقدون صحة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا شكَّ أنَّ هذا من التحريف البيّن للكلِم عن مواضعه ، وهو تزييفٌ للحقائق الشرعية ؛ فعن عَدِيّ بن حاتِمٍ رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: "اليهودُ مَغْضُوبٌ عليهم، والنَّصارَي ضُلَّالٌ".[2]

وهذا مرويٌ عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ، وهو قول جمهور المفسِّرين ، لذا قال ابنُ أبي حاتم : "ولا أعلم بين المفسِّرين في هذا اختلافًا".

وبيان ذلك أنَّ الله تعالى حكَمَ على اليهود بالغضب في قوله: {مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ}**(المائدة:٦٠)**،وحكَمَ على النصارى بالضلال في قوله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ}**(المائدة:٧٧)**.

٣-قوله تعالى:(إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ(٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ(٢٣))**(النحل:٢٢-٢٣)**

روى القمّيُ عن والده بسنده إلى أبي جعفر الصادق فيما نسبوه إليه أنَّه قال: أنَّهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق ، (قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) يعني أنها كافرة ، (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) يعني أنَّهم عن ولاية عليٍّ مستكبرون ،(إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ): "عن ولاية عليّ".[3]

---

[1] يُنظر: تفسير القمّي (٥٤/١) ، طبعة مؤسسة الإمام المهدي(١٤٣٥هـ)،في " قمّ ".
القمّي هو: أبو الحسن علي بن إبراهيم هاشم القمي ، ويعتبر تفسيره من أقدم تفاسير الشيعة،وهو الكتاب الثاني عندهم من التفاسير،بعد تفسير الإمام الحسن العسكري(الإمام الحادي عشر عند الشيعة) ، وكان معاصرًا للإمام العسكري ، وعاش إلى عام ٣٠٧ هـ ، وهو ثقة عند الشيعة ، ويعتبر من أفضل رواتهم.

[2] رواه أحمد (٢٠٣٥١) والترمذي(٣١٨٧) ،وهذا لفظ الترمذي،وقد صحّحه المنذري في الترغيب والترهيب (٢١١٧) ،وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره(٢١٧/١): "روي حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة يطول ذِكْرها".

[3] يُنظر: تفسير القمّي (٥٤٧/٢)،طبعة مؤسسة الإمام المهدي(١٤٣٥هـ)،في " قمّ ".
والمراد بالرجعة: الاعتقاد أنَّ عليًا رضي الله عنه لم يمت، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، فيملأُ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، وأنَّه رضي الله عنه في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه ... إلى غير ذلك من ترهاتهم ، وبدعة الرجعة تقلَّد كبرها غلاة الشيعة ، كالسبائية: وهي إحدى فرق الشيعة الغالية، وهي تنسب إلى عبد الله بن سبأ، قبحه الله تعالى .
ينظر :مقالات الإسلاميين(٨٦/١) ،والملل والنحل (٣٦٥/١)

الحالة الثالثة للتأويل:

أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً، وهو ليس بدليل في نفس الأمر، وهذا هو التأويل الفاسد، والذي يؤدي في الحقيقة إلى تحريف النصوص ، وبهذا المنهج الفاسد تسلَّط المحرّفون على النصوص، وفحرَّفوا ما خالف اعتقادهم ، وسمُّوا تحريفهم تأويلاً، وهذا بلا شكٍّ كلام مردودٌ عليهم؛ إذ إنَّ صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح لا يجوز إلا عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محالٌ ممتنعٌ.

وأما حقيقة فعلهم فما هو إلَّا التأويل الفاسد لنصوص الشرعية ، والتحريف البيَّن لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن مواضعه.

وباب التأويل الفاسد وغير المستساغ بابٌ عريضٌ دخلَ منه الزَّنادِقَةُ لِهَدْمِ الإسلام! حيثُ حرَّفوا النصوص، وصَرَفُوها عن مَعانيها الحقيقية، وحَمَّلُوها من المعاني ما يشتهون، فسَمَّوا التَّحريفَ "تأويلاً"؛ تزييناً له وزَخْرفةً، لِيُقْبَلَ منهم!

وهذه طريقة إبليسَ الذي حرَّفَ اللفظ عن موضعه: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} [طه: ١٢٠]، فسمَّى شجرةَ التحريم "شجرة الخُلْد"!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:التأويل المذموم الباطل هو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأوَّلونه على غير تأويله، ويدَّعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك".[1]

وأصل من فتح هذا الباب هم اليهود، فلقد أخذوا بنصيبٍ وافرٍ من هذه الصفة ، فلمَّا أمِروا أن يقولوا: "حِطَّة"،وهي سؤال الله تعالى أن يحطَّ عنهم الخطايا ، حرَّفوا اللفظ فقالوا: "حِنْطَة"، كما قال الله تعالى(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(٥٩)} [البقرة: ٥٨ - ٥٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: {ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ}، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ ، حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ ".[2]

---

[1] يُنظر: مجموع الفتاوى:(٣/ -٦٧).

[2] متفق عليه. وقوله تعالى{ادخلوا الباب} : الباب الذي أمروا بدخوله هو أحدُ أبواب بيت المقدس، و "سجداً"، قال ابن عبَّاس رضي اله عنهما: منحنين ركوعاً، وقيل: متواضعين خضوعاً لا على هيئة معينة، و {حطة} بالرفع على إضمار مبتدأ، أي: مسألتنا حطة، والمعنى: حُط عنَّا ذُنوبَنَا، أي اغفرها لنا، قال ذلك الحسن وقتادة، وقال ابن جبير: معناه: الاستغفار، وقال ابن عبَّاس: يعني لا إله إلاَّ الله، لأنها تحط الذنوب، وقيل معناه: قولوا صوابًا ،=

تحريف المبتدِعة في هذه الأمَّة :

عمد أهل البدع إلى توسيع دائرة التحريف، حتى نال الكثيرَ من أدلة الشرع ، فحرَّفوا النصوص إمَّا لأنها تخالف أهواءهم، ولا تنتصر لبدعهم.

وقد انقسم ذلك التحريف إلى :"لفظي، ومعنوي"، فالأول هو تغيير هيئة الكلمة بقصد تحريف معناها ، والثاني :فهو تحريف المعنى، مع بقاء اللفظ على ما هو عليه.

ومن أمثلة ذلك التحريف اللفظي:

١-ما ذكره الشنقيطي نقلاً من الألوسي في " روح المعاني" في قوله تعالى﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾(الشرح:٧) ، أنه قد نُسِب إلى بعض الإمامية قراءة "فانصِب " بكسر الصاد، وهي قراءة شاذة ، وأخذها الشيعة على الفراغ من النبوة، ونصبِ علي رضي الله عنه إمامًا للمسلمين، ثم قال الشنقيطي: وعلى كلٍ إذا كان الشيعة يحتجون بها، فيكفي لرد احتجاجهم أنها شاذة، وتتبع الشواذ قريبٌ من التأويل المُسمَّى باللَّعب عند علماء التفسير، وهو صرف اللفظ عن ظاهره، لا لقرينة صارفة ولا علاقة رابطة.[١]

٢-تحريف المعتزلة لقول الله تَعالَى{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، كما روى ذلك أصحابُ السِّيَر في القصّة التي وقعت لعمرو بنِ عبيدٍ، أحد كِبار المعتزِلة، فقد قَالَ لأبي عمرو ابن العلاء أحد القُرّاء السبعة المعروفين المشهورين: أريد أن تقرأ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً} بنَصْبِ اسم الله تعالى -وذلك ليكون موسى عليه السلام هو المتكلِّم، وليس الله تعالى - فقال أبو عمرو:

هَبْ أنّي قرأتُ هذه الآية كما تقول، فكيف تصنعُ بقوله - تَعالَى -: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ...} [الأعراف: ١٤٣]؛ فبُهِتَ المُعتزليُّ.[٢]

وكذلك ممَّا ورَد من تحريفهم لهذه الآية ، أنهم قالوا " كلْم الله": إنه من الكَلْم (بسكون اللام)، أي: الجُرْح، ويكون المعنى: جَرَحَ اللهُ تعالى موسى عليه السلام بأَظافِرِ المِحَنِ ومَخالِبِ الفِتَنِ.

=وقوله: "فبدَّلوا" أي: قصدوا خلاف ما أمرهم الله به، فعصوا وتمردوا واستهزؤوا. والأستاه: جمع أيست وهو الدبر، أي دخلوا ينجرون على أليتهم فِعْلَ المقعد الذي يمشي على أليته.

وقوله: "وقالوا: حبة في شعرة" قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والاستخفاف بالأوامر الشرعية، وهو كلام خَلْفٌ لا معنى له، وهو خالٍ عن الفائدة تتميما للاستهزاء وزيادة في العتو، فعاقبهم الله بالرِّجز وهو العذاب المقترن بالهلاك.

يُنظر :طرح التثريب(١٦٦/٨)والمفردات في غريب القرآن (ص/ ٢٤٢)

[١] يُنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(٥٨٠/٨)

فائدة: أغلب المراجع لم تذكر لها قارئًا، بل نسبتها إلى الامامية.

ومن قرَّائها: جعفر بن محمد وزيد بن علي، ذكر الأول ابن خالويه في مختصره، وذكر الثاني الزبيدي في التاج، وذكر الفيروزآبادي في البصائر أنها قراءة زيد بن علي). [معجم القراءات: ٤٩٣/١٠]

[٢] يُنظر: الصواعق المرسَلة (٣/ ١٠٣٧)، وشرح الطّحاويّة (ص/١٧٠).

والذي حملَهم على هذا التحريف هو فرارهم من إثبات صفة الكلام لله تعالى .[1]

ومن أمثلة هذا التحريف لأدلة السنة:

ما فعلوه في حديث الاحتجاج بين آدم وموسى عليهما السلام ، فقد ضبط رواة الحديث من أهل السّنّة لفظةَ "فحَجَّ آدمُ موسى" برفْع لفظة "آدمُ"؛ لأنه هو الفاعل الذي له الحُجّة، فقد غلب آدمُ موسى عليهما السلام بالحُجة، وظَهَرَ عليه بها.

أما المعتزلة القدرية :فقد حرَّفوا لفظ الحديث ، لأنَّه يخالف أحد أصولهم الخمسة ،وهو مذهبهم في نفي القدر ، وذلك لأنَّ آدم عليه السلام قد احتج بالقدر على ما وقع له من مصيبة الخروج من الجنَّة بعد أكله من الشجرة المحرَّمة، وذلك في قوله عليه السلام : «أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ تعالى عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً» ، وهذا صريحٌ في إثبات القدر السابق.

وبِناءً عليه قد عمدوا إلى تحريف الحديث فقالوا: "فحَجَّ آدمَ موسى" بنصْب "آدم"؛ فتكون الحُجّة لموسى عليه السلام![2]

ومن أمثلة ذلك التحريف المعنوي:

١-ما ورَد في إثبات صفات الله عزوجل ، كصفة المحبة في قوله تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى{إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِين (٤)} [التوبة:٤]، فترى

---

[1] يُنظر:الكَشّاف (١/ ٣١٤)، ومفاتيح الغيب (١١/ ٨٧)

فائدة: وقد ذكر الحافظ ابن خزيمة في كتاب التوحيد(٨٧/١) أنَّ بعض المعاصرين له من المبتدعة كان لا يجوّز أن يقرأ: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ، وأنه كان يقرأ: "الله نوَّر السموات والأرض"، وذكر أنه كتب له نصيحة وأرسلها إليه مع بعض أصحابه، وذكر أنه بلغه أن هذا المبتدع رجع بعد ذلك.

[2] **وجواب ذلك أنْ:**

نأتيَكم بقاصمة الظهر فيما رواه أحمدُ وابنُ بَطّةَ وعبد الرّزّاق وابنُ أبي شَيبةَ بسندٍ صحيح كالشَّمْسِ عنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى لِآدَمَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي أَدْخَلْتَ ذُرِّيَّتَكَ النَّارَ؟ فَقَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ، فَهَلْ وَجَدْتَ أَنِّي أَهْبِطُ؟ قَالَ: نَعَمْ»،

قَالَ: «فَحَجَّ آدَمُ».«أخرجه أحمد (٧٦٣٥)والدارميُّ في الرد على الجهمية (ص/٨٦)، قال الحافظ ابن حَجَر عن هذه الرواية: "قد أخرجها أحمد من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، فإنّ رُواتها أئمّةٌ حُفّاظٌ، والزهريُّ من كبار الفقهاء الحُفّاظ، فروايته هي المعتمَدةُ في ذلك".

يُنظر: فتح الباري (١١/ ٥٠٩)، ومُستخرَج أبي عوانةَ (٢٠/ ٢٤٦) ،وقد صحح الألبانيُّ إسناد هذا الحديث في ظِلال الجَنّة (١/ ٦٨)

... لذلك قال أحمدُ بن ثابتٍ الطَّرقيّ: سَمِعْتُ ابنَ الخاضبة يقولُ: كان مسعود بن ناصر السَّجْزِيّ قَدَرِيّاً، وسمعته يقرأُ: «فحَجَّ آدمَ مُوسَى» ، بنصْب لفظ " آدم "!

فقال الحافظ ابن حَجَرٍ رَدّاً علي مسعود السَّجزيّ: "هو محجوج بالاتفاق قَبْلَهُ على أنّ "آدم" بالرفع على أنه الفاعل، وقد أخرجه أحمدُ من رواية الزُّهْرِيّ عن أبي سَلَمةَ عن أبي هُريرةَ بلفظِ: «فحَجَّهُ آدَمُ»، وهذا يرفعُ الإشكالَ؛ فإنّ رُواته أئمّةٌ حُفّاظٌ، والزُّهْرِيُّ مِن كبار الفقهاء الحُفّاظ؛ فروايتُه هي المعتمَدةُ في ذلك".

يُنظر: سِيَرُ أعلام النُّبَلاءِ (١٤/ ٥٤)، وفتح الباري (١١/ ٥٠٩)

الأشاعرة يقولون :" أنَّ المحبة ميلُ الشيء إلى ما يلائمه، وهذا المعنى لا يليق به سبحانه؛ لأنه تشبيه؛ ففي ظاهر هذه النصوص محذور".
لذا فقد صرفوا معنى النص إلى معانٍ أخرى؛ كأنْ يقولوا: المحبة من الله تعالى : هي إرادة الإنعام والإحسان إلى من يُحبُّه الله تعالى.
٢-التحريف المعنوي لقول الله تعالى حاكيًا عن موسى عليه السلام "قَالْ ربِّ أَرنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ" ، فقد تأوَّل نفاة رؤية الله تعالى ، كالأصم والكعبي، وهم من المعتزلة فقالوا: إنَّ قول موسى "أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ":أي أرني آيةً أعلمك بها، كما أعلم ما أنظر إليه فتنتفي الشكوك والشبه !![1]
٣-ومن التحريف المعنوي لحديث الجارية ، حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه ، لمَّا سأل النبيُّ صلى اله عليه وسلم الجارية ، فَقَالَ لَهَا: " أَيْنَ اللهُ؟ ، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ".[2]
قال نفاة العلو : إنما أراد الرسول ﷺ بالسؤال بـ " أين " الاستفهام عن المكانة لا المكان، فيكون المعنى أنَّ النبيَّ قد سألها عن منزلة الله تعالى ومكانته في قلبها ، كما يقال لعمرو :أين زيد منك؟ فهو سؤال عن المكانة ، لا المكان.
وكما يقول الإنسان لصاحبه: أين محلي منك؟ فيقول في السماء، يريد أعلى محل،وإنما حملهم على ذلك التحريف أنهم جعلوا السؤال بأداة " أين " التي يُستفهم بها عن المكان ممتنعاً في حق الله تعالى؛ لأنها لازمها إثبات الظرفية ، هلى حدِّ زعمهم.
وقد تصدَّى العلماء لهذا التحريف البيِّن لحديث النبي ﷺ:
قال الذهبى:
ففي الخبر -أى خبر الجارية - مسألتان: إحداهما شرعية، قول المسلم :"أين الله تعالى"؟ وثانيهما: قول المسؤول " في السماء "، فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ.[3]
قال عبد الغني المقدسي:
ومَن أجهل جهلاً، وأسخف عقلاً، وأضل سبيلاً ممَّن يقول إنه لا يجوز أن يقال: أين الله تعالى ، بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله " أين الله تعالى "؟![4]

---

[1] يُنظر: "شرح العقائد النسفية" سعد الدين التفتازاني (ص/ ٢٠٤).
[2] أخرجه مسلم (٥٣٧)
[3] يُنظر: العلو للعلى الغفار بتحقيق الألبانى (ص/٨١)
[4] يُنظر: الاقتصاد في الاعتقاد (ص/٨٨)

مثالٌ آخر:

ما فسَّر به المبتدعة مِن المعتزلة ومَن على شاكلتهم الاستواء في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} بالاستيلاء ، وردُّوا تفسير السلف للاستواء بأنه العلُّو والارتفاع بدعوى أنه مستلزم للتجسيم، كما نصَّ على ذلك الرازي في قوله:

" ثبت بمجموع الدلائل العقلية والنقلية أنه لا يمكن حمل قوله " ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ "على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز!![1]

وكل نصٍّ أوهم التشبيها... أوّله أو فوّض ورُم تنزيهاً

نقول:

وهذا ممَّا يجسِّد لنا جناية أهل التحريف على نصوص الاعتقاد، حينما يُلبسون التحريف ثوب التنزيه، ويُرمون أهل الإثبات بالتجسيم والتشبيه، فترى عطب الفهم في مسلاخ تأصيلٍ وتأسيسٍ.

وهذا القول يذهب إليه كثير من الجهمية والمعتزلة والحرورية، وكثير من متأخري الأشاعرة.[2]

قال القاضي عبد الجبار: والمراد بالاستواء هو الاستيلاء والاقتدار، كما يُقال استوى الخليفة على العراق، وكما قال الشاعر:

" قد استوى بشر على العراق... من غير سيف ولا دم مهراق ".[3]

تنبيه مهم:

أصل الاشكال عند القوم هو ما ذكره أحمد المقري في "إضاءة الدُّجُنَّة في عقائد أهل السنة"، قال:

والنصُّ إنْ أوهم غير اللائق *** بالله كالتشبيه بالخلائق

فاصرفه عن ظاهره إجماعًا *** واقطع عن الممتنع الأطماعا.[4]

---

[1] يُنظر: مفاتيح الغيب (١٤/ ٢٦٩)

[2] وممن قد نص على ذلك:

بشر المريسي كما نقله عنه عثمان بن سعيد في " نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد " (ص/٣١٩)، واللقاني في "هداية المريد " (٢/ ٤٩٢) والجويني في "لمع الأدلة" (ص/١٠٨)

[3] وهذا البيت مما قد استدل به القاضي عبد الجبار في "متشابه القرآن" (ص/٧٣) و" شرح الأصول الخمسة" (ص/٢٢٦) على تفسير الاستواء بالاستيلاء.

وهو بيت هو لشاعر نصراني يدعى الأخطل، قاله لبشر بن مروان بن الحكم، ثالث أبناء الخليفة مروان بن الحكم، وذلك حين ولاّه أخوه عبد الملك الكوفة والبصرة.

يُنظر :المختصر في أصل الدين (ص/٣٣٣) ضمن رسائل العدل والتوحيد، و" العرش وما رُوِي فيه " (ص/١٦٢) ومنهج المتكلمين (٢/ ٥٣٧) وتنزيه القرآن عن المطاعن (ص/٢٢٦)

[4] يُنظر: منظومة "إضاءة الدُّجُنَّة في عقائد أهل السُنَّة"،للمقريَ (ص/١٤٨)=

فهذه المنظومة صاحبها أشعري، وقد نظمها في العقيدة الأشعرية المتضمنة لتاويل الصفات ، وهو يدَّعي إجماعًا مفقودًا أصلا، ولا وجود له البتة؛ لأنه مبنيٌ على شرطٍ مفقود لا له ، وهو افتراضه أنَّ نصوص الصفات قد تُوهم غير اللائق بالله تعالى ، كالتشبيه بالخلائق ؛ ذلك أنَّ ظواهر نصَّوص الوحيين ما أوهمتْ قط ما لا يليق بالله عزوجل ، كالتشبيه بالخلائق ونحوه ، إنَّما دلَّتْ على إثبات الصفات لله عزوجل على ما يليق به سبحانه ، من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ .

وعليه نقول:

أنَّ هذا الإجماع المعدوم المزعوم لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقله أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا من تابعيهم، ولم يقله أحدٌ من الأئمة الأربعة ، ولا من فقهاء الأمصار المعروفين.

وإنما لم يقولوا بذلك؛ لأنهم يعلمون أن ظواهر نصوص الوحي لا تدل إلَّا على تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، وهذا الظاهر الذي هو تنزيه الله تعالى لا داعي لصرفها عنه كما ترى.

وصلى الله على النبي ، وعلى آله وصحبه وسلم.

=وهذه منظومة في العقيدة الأشعرية المتضمنة لتاويل الصفات، نظمها أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن المقري التلمساني،المغربي ، نسبة إلى مَقَّرة ،ولد في تلمسان ، أشعري المعتقد ، ودخل مصرعام (١٠٢٨ هـ) ،وتوفي فيها عام (١٠٤١ هـ)

وقد شرحها عبد الغني النابلسي في كتاب أسماه " رائحة الجنة شرح إضاءة الدُّجُنَّة في عقائد أهل السُنَّة "، قال في مقدمة شرحها :"العقيدة المنظومة، والعقيلة المعصومة، واللؤلؤة المكنونة، والجوهرة المخزونة، فريدة التوحيد، وخريدة التمجيد، منظومة العلَّامة، والعمدة الفهَّامة، سيد العلماء العاملين، وإمام الفقهاء والمحدِّثين، شيخ مشايخنا المرحوم أحمد المقري المغربي رحمه الله".

.